



عايد محمد أبو فرده*

التُّراث الأردنيّ من المحليّة إلى العالميّة

◀◀ استطاع جلالة الملك عبدالله الثاني أن يعبّر بالتراث الأردني من "المحليّة" إلى "العالميّة"، وتبنّى مشاريع تدعم التنمية السياحيّة والتراث الوطني؛ فصدرت الإرادة الملكيّة السامية بإنشاء "متحف الأردن" و"مركز التوثيق الملكي الأردني الهاشمي"، واهتمّ جلالتهم بإبراز الأردن ووضعها بالمكانة اللائقة بماضيه وتاريخه الحضاري، ليكون هذا الماضي ركيزةً قويّةً للانطلاق لمستقبل أفضل.

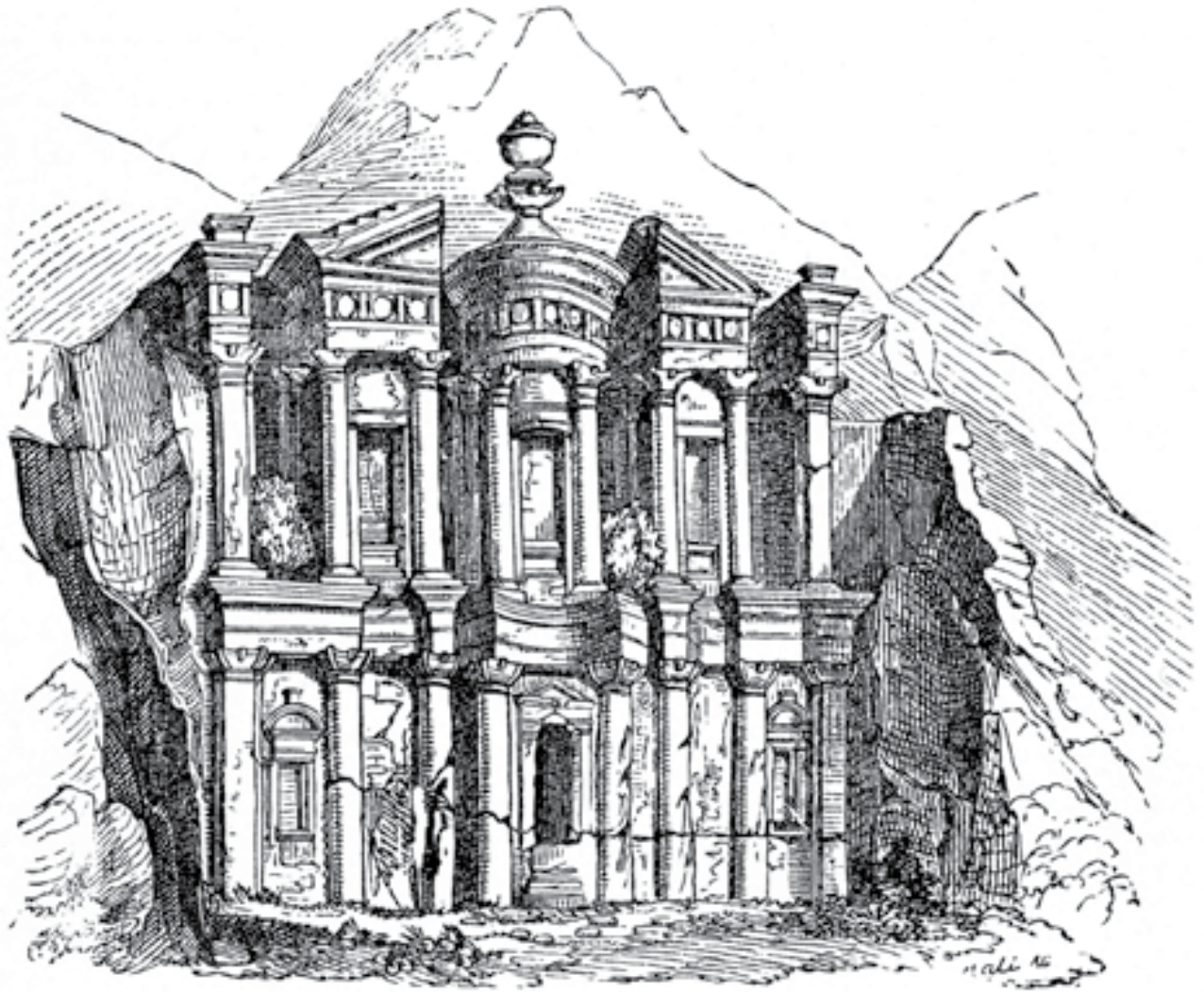
عليه.. من هذه العبارة للرّاحل جلالة الملك الحسين بن طلال، التي كُتبت في العديد من المواقع الأثريّة والبيئيّة؛ يستمدُّ جلالة الملك عبدالله الثاني إصراره الشديد على الإرث الأردني كجزء لا يتجزأ من الإرث الإنساني العالمي. وكون جلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين وارث الثورة العربيّة الكبرى، فقد حقّق للأردن إنجازات ملموسة على مختلف الصُّعد الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة والعلميّة، ووفّر لأبناء شعبه فرص التميّز والإبداع والمشاركة في صنع القرارات، وفَتَحَ الأبواب

فيما نحتفل بمرور عشرين عامًا على تسلُّم جلالة الملك عبدالله الثاني سلطاته الدستوريّة، تطلُّ علينا الثورة العربيّة الكبرى، فنتناول من عبقها سيرة عطرة من صفحات التاريخ، تقف فيها الكلمات حائرة أمام عظمة الإنجاز؛ حيث أنعم الله على الأردن بالقيادة الفدّة التي تمكّنت من إيصال الماضي بالحاضر، والحاضر بالمستقبل، لتساهم بتحويل طموح الأردن إلى واقع ملموس صنعه الهاشميون.

"الإرث ملكُ الإنسانيّة، اعتنِ به وساعدنا في الحفاظ

*كاتب أردني ويبحث في التراث

odeh1920@gmail.com



والإقليمية إلى "الفضاء الخارجي"، وجاء الاعتراف العالمي به وإدراجه في قائمة "العالمية"، فكان لجهود جلالة الملك عبدالله الثاني دورٌ بارزٌ في دخول البتراء ضمن قائمة عجائب الدنيا السبع في العام 2007؛ الأمر الذي أدى إلى نموّ الحركة السياحية، ممّا انعكس إيجاباً على الأردن. كما أدرجت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (يونسكو) فنّ "السامر" الأردني في القائمة التمثيلية للتراث العالمي غير المادي. وكذلك الإيعاز للتّقيب عن الأماكن الأثرية، وظهر ذلك جلياً من خلال اكتشاف المغطس بما له من قيمة تاريخية

للمساهمة في مسيرة التنمية والاستفادة من مكاسبها، كما حافظ جلالته على الثوابت الأساسية لقضايا الأمة موضّحاً سماحة دينها وإنسانيّتها؛ ورسالة عمّان خير دليل على ذلك، فهي رسالة الأمة للعالم أجمع، ليغدو الأردن وبفضل قيادته وطناً مزدهراً تلتفّ حوله الأسرة الأردنيّة الواحدة.

لا يختلف اثنان على اهتمام جلالة الملك عبدالله الثاني بدعم وخدمة ثقافة الوطن وتراثه، إذ إنّ سجلّه حافلٌ بإنجازات ثرة في حفظ تراث الوطن ليطلع عليه أبنائه جيلاً بعد جيل، فاستطاع أن يعبر به من "المحليّة

وعقائديّة. وما رعاية جلالته إلا تجسيدًا لاهتمامه بتراث الوطن والمحافظة عليه، وتقديم كل دعم يعزّز ثقافة المجتمع الأردني المحافظ على قيمه وعروبته ومكارم أخلاقه.

ويولي جلالته عناية كبيرة بالمعرفة والثقافة، وما زال يبذل جهودًا فاعلة في تبني العديد من المشاريع في إطار اهتمامه بدعم التنمية السياحيّة والتراث الوطني، ويكفي دليلًا دامعًا على ذلك عشقه الدائم للتراث والتاريخ والحضارة، إذ يحرص باستمرار على وجوده في أيّ محفل يؤدّي لتطوير ودعم الحراك الثقافي والتراثي، وقد تجسّد اهتمامه بالتراث وقضاياه في دعمه المستمرّ لكلّ جهد يُسهم في تطوير النسيج العمراني لأيّ مدينة أردنيّة والعناية بمعالمها التاريخيّة والأثريّة، فوضع نصب عينيه الاهتمام بالمقتنيات الأثريّة وتأمين الأماكن المناسبة لحفظها، فصدرت الإرادة الملكيّة السامية بإنشاء المتحف الوطني والذي يقع في منطقة رأس العين قلب العاصمة عمّان في العام 2002، ونمت الموافقة السامية على نظام المتحف عام 2003، وقد وضع حجر أساس هذا المبنى عام 2005، وتمتّ تسميته باسم "متحف الأردن". وبرز اهتمام جلالته بالمقتنيات التراثيّة عندما قام باستعادة علم الثورة العربيّة الكبرى الذي كان معروضًا للبيع في مزاد عالمي من قبل شركة Sotheby's بلندن في تموز 2005.

وفي رسالة ملكيّة مباشرة تؤسّر على اهتمام جلالته بإرث الأبطال والشهداء الأردنيين، والإرث العسكري الأردني العريق، جاءت توجيهات جلالته بإعادة تأهيل متحف دارة الشهيد وصفي التل ومنزل المشير حابس المجالي وتحويله إلى متحف عسكري يروي بطولات الجيش العربي وتضحياته، من خلال عرض مقتنيات عسكريّة وأسلحة تحاكي المرحلة التي عاشها هؤلاء. وفي

السياق نفسه تمّ إنشاء متحف الدبّابات الملكي والذي يحتوي على مجموعة من الدبّابات يعود تاريخها للحرب العالميّة الثانية.

اهتمّ جلالته الملك عبدالله الثاني بأن يتبوأ الأردن مكانة مرموقة ومميّزة على خارطة الإرث العالمي؛ ويبدو ذلك جليًا من خلال تبني وتشجيع الإبداع بالحفاظ على الكنز الحضاري الذي ورثناه عن الأجداد؛ حيث كان الخطاب الثقافي لجلالته ووصفه الثقافة بإحدى المفردات المهمّة للتنمية وتوطين المعرفة وأداة التواصل والحوار ومهد الحضارة، فكانت الرّعاية الواضحة من قبل جلالته للمثقفين من خلال لقاءاته وحواراته مع الكُتاب وتلمّس قضاياهم والتي تجلّت بتكريم عدد من المؤرّخين الأردنيين تقديرًا لجهودهم وتشجيعًا لهم وعرفانًا لما قدّموه من أعمال لها أهميّة تاريخيّة ووثائق وطنيّة هي محطّ اهتمام رسمي وشعبي لأنّها تؤرّخ لمرحلة مهمّة من تاريخ الأردن.

وأبدى جلالته الملك عبدالله الثاني اهتمامًا خاصًا بتوثيق المخطوطات المتعلقة بتاريخ الأردن، وتجلّى ذلك بصدور الإرادة الملكيّة السامية بالموافقة على إنشاء مركز التوثيق الملكي الأردني الهاشمي الذي استطاع أن ينجز توثيقًا حقيقيًا للمخطوطات والصور والأفلام المرئيّة والسمعيّة لمراحل تاريخيّة متعدّدة، كما قام المركز بمشروع التحوّل الرّقمي؛ حيث تمّ تحويل عدد كبير من الوثائق من الميكروفيلم إلى الأشرطة الممغنطة، وتزويد بعض الجامعات بنسخ من مخزون الذاكرة الأردنيّة.

لقد حرص جلالته من خلال خطابه المتعدّدة على إيلاء الثقافة مكانة تتوازي مع الموقع التاريخي للأردن، فجاءت توجيهات جلالته لإنشاء جائزة الملك عبدالله الثاني للإبداع على المستوى العربي في ثلاثة حقول مهمّة

هي العلوم والفنون والآداب تُمنح مرة واحدة كل سنتين تشجيعاً ودعماً وتكريماً للإبداع والمبدعين. ولا بدّ من الإشارة إلى التكريم الملكي للفنانين والمطربين، ممّا شكّل دافعاً وحافزاً لهم؛ أثمر في زيادة نشاط الحراك الموسيقي والفلكلور والحفاظ على الإرث الموسيقي الأردني وإعادة إنتاجه بقوالب جديدة.

كذلك مشروع (مكتبة الأسرة الأردنيّة- مهرجان القراءة للجميع)، الذي تقيمه وزارة الثقافة الأردنيّة سنويّاً ويحظى برعاية الملكة رانيا العبدالله، ويهدف إلى تأسيس "مكتبة في كل بيت أردني"، ويُعدّ من أهم المشروعات الثقافيّة في المملكة، لإسهامه بتعميم القراءة بين أفراد الأسرة من خلال تقديم الكتاب بأسعار رمزيّة، وشموله لمحافظات المملكة كافّة، ويتمّ فيه إعادة طباعة كمّ كبير من العناوين الخاصة بالأدباء والمثقفين والمؤرّخين الأردنيّين الرّاحلين، وإعادة نشر ما قدّمه في لفته مهمّة تكرّس ثقافة احترام وتقدير ما قدّمه للإرث الثقافي الأردني.

أمّا على صعيد الإرث الديني، فإنّ الأردن يحظى بشرف كبير لضمّه مقامات وأضرحة عدد من الأنبياء والصحابة من الشهداء وقادة الأُمّة، والتي تعطي أهميّة تاريخيّة لموقع الأردن من خلال انطلاق الفتوحات الإسلاميّة عبر أراضيه، فأبدى جلالته اهتماماً كبيراً بهذه المواقع وذلك من خلال توجيهاته بإكمال مراحل مشاريع الترميم والصيانة التي بدأت بتوجيهات من جلالته المغفور له الملك الحسين بن طلال رحمه الله.

وكما كانت الرّعاية الملكيّة للمواقع الدينيّة الإسلاميّة، كذلك كانت الرّعاية الملكيّة للمواقع الدينيّة المسيحيّة لتؤكّد للعالم على نموذج العيش والمصير والتاريخ الحضاري المُشترَك واحترام الأديان، والتي تمثّلت باهتمام جلالته بموقع المغطس وإنشاء هيئة خاصّة

لإدارته وتطويره؛ ممّا كان له الأثر في التّصويت بالإجماع على إضافته لقائمة الإرث العالمي، وهو خامس المواقع الاثريّة والسياحيّة الوطنيّة على هذه اللائحة العالميّة، بعد البتراء إحدى عجائب الدنيا السبع الجديدة وقصير عمرة وموقع أم الرصاص ووادي رم.

لقد كان لهذه المواقع الأثريّة، وإدراجها ضمن قائمة الإرث العالمي، أهميّة كبرى لاجتذاب السيّاح وتنشيط السياحة، وكان له الأثر في ردف الموازنة وتحقيق دخل لا بأس به للخزينة الأردنيّة. وقد سعى جلالته الملك عبدالله الثاني لتطوير الأماكن السياحيّة كافّة، والتي تشكّل الإرث الحضاري للمملكة، من خلال حرصه على تأمين الوصول لهذه الأماكن وتوفير أسباب الرّاحة والأمان لروّادها، فكانت هناك مشاريع عديدة من هذا القبيل، منها: (مشروع تطوير وسط مدينة عمّان)، (مشروع تطوير مدينة السلط)، (مشروع بانوراما البحر الميت)، (مشروع طريق البحر الميت- مادبا السياحي)، (مشروع التطوير السياحي لمدينة الكرك القديمة)، (مشروع تطوير الشاطئ الشرقي لمنطقة البحر الميت).

كل هذه المشاريع تصبّ في المصلحة الأولى للوطن، ولتسويق السياحة، وتُظهر الاهتمام الكبير لجلالته بهذه الموروثات الماديّة التي نفاخر بها والتي تؤكّد عراققة الأردن وامتداد حضارته في أعماق التاريخ. لقد نعم الأردن بالاهتمام الكبير لجلالته الملك عبدالله الثاني بإبراز الأردن ووضعِه بالمكانة اللائقة بماضيه وتاريخه الحضاري، ليكون هذا الماضي ركيزة قويّة للانطلاق لمستقبل أفضل، فالأردن صاحب ماضٍ وحاضرٍ ومستقبلٍ مشرق بإذن الله، وبهمة القيادة الهاشميّة المظفرة بقيادة جلالته الملك عبدالله الثاني حفظه الله وأبقاه ذخراً للأمتين العربيّة والإسلاميّة ■